

## استراحة المسافر (١٠)

\* تغدّى رجلٌ اسمه أبو السّرايا عند سليمان بن عبد الملك وهو يومئذٍ وليُّ عهد، وأمامه جدّيّ (تيس) فقال له سليمان كل من كَلَيْتِه فإنها تزيد في الدماغ فقال: لو كان هذا مثل ما تقول لكان رأسُ الأمير مثل رأس البغل.

\* قال الحافظ: قال أبو كعب كَنَّا عند عيَّاش بن القاسم ومعنا سَيْنَوِيهِ القاصِّ فجاءنا بفالوذجة حارّة، فابتلع منها سَيْنَوِيهِ لقمة فغُشي عليه من شدّة حرّها فلما أفاق قال: لقد مات لي ثلاثة بنين ما دخل جوفي عليهم من الحرقة مثل ما دخل جوفي من حرقة هذه اللقمة.

\* قال رجلٌ لرجل: بكم تبيع الشاة؟ قال: أخذتها بستة وهي تُساوي سبعة وقد أعطيت بها ثمانية، فإن كانت حاجتُك إليها بتسعة فادفع لي عشرة وخذها.

\* جاء رجلٌ إلى الأعمش فقال: يا أبا محمد: اكرتيت حماراً بنصف درهم وأتيتك لأسألك عن حديث كذا وكذا، فقال له: اكرت بالنصف الآخر وارجع.

\* دخل أبو علقمة - وكان من المتقّرين والمتشدّقين في الكلام - دخل على أعين الطبيب فقال له: أمتّع الله بك، إني أكلت من لحوم هذه الجوّازِلِ فطسِئتُ طسأةً، فأصابني وجعٌ ما بين الوابِلَةِ إلى دأية العنق فلم يزل يربُّو ويَنمي حتى خالط الحلبَ والشرا سيفَ، فهل عندك دواء؟ فقال أعين: نعم، خذ خرْبَقاً وشلفقاً وشبرقاً فزهرقه وزفرقه واغسله

بماء رَوْثٍ واشربُه؛ فقال أبوعلقمة: لم أفهم عنك؛ فقال أعين:  
أفهمتُك كما أفهمتني. وقال له يوماً آخر: إني أجد مَعْمَعَةً في بطني  
وقَرَقْرَةً؛ فقال له: أما المعمعة فلا أعرفها، وأما القرقرة فهي ضراطٌ لم  
يُنْضَجِ.

الجوازل: فراخ الحمام. طسي: أتخم من الطعام. الوابلة: طرف  
العُضد في الكتف. الدأية: فقرة العنق. الخلب: حجاب بين القلب  
وسواد البطن. الشراسيف: جمع سُرسوف وهو رأس الضلع مما يلي  
البطن. الخربق: ضربٌ من الأدوية ونبت كالسُم يغشى على آكله ولا  
يقتله. الشبرق: نبت من جنس الشوك إذا كان رطباً فهو شبرق فإذا يبس  
فهو الضريع.

\* قال الأصمعي: رأيت أعرابياً ماسكاً بستار الكعبة وهو يقول: اللهم  
أمتني ميتة أبي خارجة!  
فقلت له: يرحمك الله، وكيف مات أبوخارجة؟  
قال: أكل حتى امتلأ، وشرب، ونام في الشمس، فمات شعبان رِيَّان  
دفيان.

مداعبة شعرية :

داعب «محمود غنيم» صديقاً له شاعراً، سُرقت محفظته فقال في ذلك :

هوِّنْ عَلَيْكَ وَجَفَّفْ دَمْعَكَ الْغَالِي  
مِنْ أَيْنَ أَضْبَحْتَ ذَا مَالٍ فَتَسْلَبُهُ  
فِيَالهَا صِرَّةٌ مِنْ جَيْبِكَ انْطَلَقْتُ  
عَوِذُ نَقُودِكَ وَاعْقِدْ حَوْلَهَا عُقْدًا  
قَالُوا: خَلَّتْ يَدُهُ مِنْ كُلِّ مَا مَلَكَتْ  
يَا لَيْتَ شِعْرِي مَاذَا أَنْتَ صَانِعُهُ  
أَقْسَمْتُ مَا سَلَبْتَ تِلْكَ النُّقُودَ يَدُ  
الذِّئْبِ لَا يَشْتَهِي لَحْمَ ابْنِ جِلْدَتِهِ  
لَا يَجْمَعُ اللَّهُ بَيْنَ الشَّعْرِ وَالْمَالِ  
يَأْشُبُهُ النَّاسُ بِي فِي رِقَّةِ الْحَالِ  
وَأَنْتَ أَحْوَجُ مَخْلُوقٍ لِمِثْقَالِ  
وَثِيقَةٍ تَتَحَدَّى كُلَّ حَلَالِ  
فَقُلْتُ: بَلْ رَأْسُهُ مِنْ عَقْلِهِ خَالِ  
أَتَزْمَعُ الصُّومَ حَتَّى شَهْرِكَ التَّالِي  
لَكِنَّهَا أَبَقْتُ مِنْ جَيْبِكَ الْبَالِي  
فَكَيْفَ أَوْقَعَ نَشَّالٌ بِنَشَّالِ

## من أخبار المسافرين (٣٥) مسافر يطوي الأرض ليتوب إلى ربه

وإليك أخي المسافر قصة مما يزويه الصادق المصدوق عليه السلام:  
 «كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفساً، فسأل عن أعلم أهل الأرض، فدل على راهب، فأتاه فقال: إنه قتل تسعة وتسعين نفساً، فهل له من توبة؟ فقال: لا. فقتله فكمل به مائة، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض، فدل على رجل عالم فقال: إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة؟ فقال: نعم، ومن يحول بينه وبين التوبة؟ انطلق إلى أرض كذا وكذا، فإن بها أناساً يعبدون الله تعالى فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء، فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت، فاخصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب. فقالت ملائكة الرحمة: جاء تائباً مُقبلاً بقلبه إلى الله تعالى، وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيراً قط، فأتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم - أي حكماً - فقال: قيسوا ما بين الأرضين فإلى أيتهما كان أدنى فهو له، فقيسوا فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد، فقبضته ملائكة الرحمة»  
 [متفق عليه]

وفي رواية في الصحيح: «فكان إلى القرية الصالحة أقرب بشبر، فجعل من أهلها». وفي رواية في الصحيح: «فأوحى الله تعالى إلى هذه أن تباعدي، وإلى هذه أن تقربي، وقال: قيسوا ما بينهما، فوجدوه إلى هذه أقرب بشبر فغفر له». وفي رواية: «فأى بصدرة نحوها».

## السفر الأخير

من كان حين تصيب الشمس جبهته أو الغبار يخاف الشين والشعشا  
ويألف الظل كي تبقى بشاسته فسوف يسكن يوماً راغماً جدناً  
في قعر مظلمة غبراء موحشة يطيل في قعرها تحت الثرى اللبثا  
تجهّزي بجهازِ تبليغين به يا نفس قبل الردى لم تُخلقي عبثا  
مهما كانت مشقة السفر، ومعاناة الطريق، وقطع الفيافي، وآلام  
الغربة، ومصارعة المخاطر، وسهر العيون، ومهما كانت لوعة الفراق  
ووحشة الغياب، وصعوبة الوداع، فإنَّ أصعب من ذلك كله، وأشدَّ منه  
خطراً، وأعظم منه حسرة، وأكثر منه هولاً، وأمرّ منه فجيعة، هو السفر  
الأخير الذي لا رجعة بعده، ولا لقاء معه، ولا عودة منه، ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ  
أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿١٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ  
قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٢٠﴾ .

حكم المنية في البرية جارٍ ما هذه الدنيا بدار قرار  
جُبلت على كدرٍ وأنت تريدها صفواً من الأقدار والأكدار  
فاقضوا مآربكم عجالاً إنما أعماركم سفرٌ من الأسفار  
إنَّ أسفارنا الدنيوية مهما ألمنا بعدها، وتجرعنا وعثاءها، واحتسبنا  
عناءها، تهون مع ذلك السفر الرهيب، وتسهل مع تلك الرحلة المضنية .  
ياساهياً لاهياً عما يراد به أن الرحيل وما قدّمت من زاد  
نرجو البقاء صحيحاً سالمًا أبداً هيهات أنت غداً فيمن غدا غاد  
الحبيب متى ودّع حبيبه، والأليف متى فارق أليفه، والأنيس متى افتقد

أنيسه، والصديق متى بكى فراق صديقه، فإن حرارة الوداع، ومرارة الفراق يكون معها أمل العودة، والطمع في اللقاء مرة أخرى، مما يهون حرارتها، ويحلي مرارتها، لكن السفر الأخير لا أمل في اللقاء - في هذه الدار - بعده، ولا طمع في الوصال إثره.

والحقيقة أخي المسافر أن هذه الحياة بمجموعها عبارة عن سفرٍ وأي سفر.

لعمرك ما حيٌّ وإن طال سيره يُعدُّ طليقاً والمنون له أسرُّ وما هذه الأيام إلا منازلٌ يحلُّ بها سفرٌ ويتركها سفرٌ فلا تحسبن المرءَ فيها بخالدٍ ولكنه يسعى وغايتُه العمرُ إنها رحلة شاقة مضيئة بالمخاطر، ومحفوفة بالمكاره، ومزروعة بالمصائب. إنها رحلة ابتلاء وامتحان. فالمسافر الناجح هو الذي يستطيع أن يعبر بنفسه إلى شاطئ الأمان في ثقة وثبات وهمة وشموخ، وما ذلك إلا بتزود المسافر بالزاد الحقيقي لهذه الرحلة وما هو يا ترى؟ ﴿وَتَكَرَّوْا فَاَيْدِيَكُمْ حَيْرَانَ الزَّادِ النَّقْوَى﴾.

أعدّ زادك من قولٍ ومن عملٍ إن المقام إذا طال اقتضى السفر

\* \* \*

فيا تائهاً بوادي الهوى، انزل ساعةً بوادي الفكر، يخبرك بأن اللذة قصيرة، والعقاب طويل، والموقف رهيب، والمطلع مهيب:

حتى متى تسقي النفوس بكأسها ريب المنون وأنت لاهٍ ترتعُ  
أفقد رضيتَ بأن تعلق بالمنى وإلى المنية كل يوم تدفعُ  
أحلام نوم أو كظل زائلٍ إن اللبيب بمثلها لا يخدعُ

فَتَزَوَّدَنَّ لِيَوْمِ فَقْرِكَ وَاجْتَهَدِ وَاجْمَعِ لِنَفْسِكَ لَا لِغَيْرِكَ تَجْمَعُ  
قال ابن القيم - رحمه الله تعالى -:

«الناس منذ خلقوا لم يزالوا مسافرين، وليس لهم حطُّ ترحالهم إلا في  
الجنة أو النار، والعاقل يعلم أن السفر مبنِّيٌّ على المشقة وركوب  
الأخطار، ومن المحال عادة أن يُطلب فيه نعيم ولذة وراحة، وإنما ذلك  
بعد انتهاء السفر» اهـ.

لئن كان كثير من الشعراء والأدباء بكوا من آلام السفر وتبرموا من  
لحظات الوداع وشنعوا على يوم الفراق فإن هنالك كثيراً من الشعراء  
والأدباء والعلماء والحكماء بكوا هذا السفر الأخير وشكوا من لوعة الفراق  
المريّر، وخافوا هول المطمع على العزيز القدير، يقول البارودي:

متى يشتفي هذا الفؤاد المُفَجَّعُ وفي كل يوم راحلٌ ليس يرجعُ  
نميل من الدنيا إلى ظل مزنة لها بارقٌ فيه المنيّة تلمعُ  
وكيف يطيب العيش والمرء قائمٌ على حذرٍ من هول ما يتوقعُ  
بنا كلّ يوم للحوادث وقعةٌ تسيل لها منّا نفوسٌ وأدمعُ  
فأجسادنا في مطرح الأرض هُمْدٌ وأرواحنا في مسرح الجوّ رُتَعُ  
ومن عجبٍ أنا نساءٌ ونرتضي وندرِك أسباب الفناء ونطمعُ  
تسير بنا الأيام والموت موعدٌ وتدفعنا الأرحام والأرض تبلعُ  
عفاءً على الدنيا فما لِعِدَاتِهَا وفاءٌ ولا في عيشها مُتَمَمَّعُ  
وقال آخر:

وشيب رأسي قبل حين مشيبه رعود المنايا بيننا وبروقها  
رأيت المنايا بادياتٍ وعُوداً إلى دارنا سهلاً إليها طريقها

وقد قُسمت نفسي فريقين، منهما فريق مع الموتى، وعندى فريقها فبينما ترجّي النفس ما هو نازح من الأمر لاقت دونها ما يعوقها وبينما تقول النفس أفعَل في غد كذا وكذا فاستعلقته علوقها خَطَبَ أمير المؤمنين عليُّ بن أبي طالب رضوان الله عليه بالكوفة، فقال في كلام له:

سُبْحَانَكَ خالِقاً معبوداً بِحُسْنِ بلائِكَ في خَلْقِكَ، خلقت داراً، وجعلت مَأدِبَةً ومطعماً ومشبباً، وأزواجاً وقصوراً، وخداماً وعيوناً وأنهاراً، ثم أرسلت داعياً إلينا، فلا الداعي أجبنا، ولا فيما رَغَبْنَا رَغْبنا، أقبلنا على جيفة نأكل منها، قد زاد بعضنا على بعض حرصاً عليها، وافْتَضَحْنَا لما اصْطَلَخْنَا على حُبِّها، عَمِيَتْ أَبْصَارُ صالِحينا وفقهائنا فيها، ولها من في قلبه مرض، فهو ينظر بعين غير صحيحة، ويسمع بأذنٍ غير سميعة، وقد ملكت الشهوات عقله، وأماتت الدنيا قلبه، وذهلت عليها نفسه، فهو عبدها وعبدٌ من في يديه منها شيء، حيثما زالت زال معها، وحيثما أقبلت أقبل إليها، لا يعقل ولا يسمع، ولا يزدجر من الله بزاجر، ولا يتعظ من الله بواعظ. قد رأى المأخوذِين على الغرّة حيث لا إقالة ولا رجعة كيف فاجأتهم تلك الأمور، ونزل بهم ما كانوا يوعدون، وفارقوا الدور، وصاروا إلى القبور، ولقوا دواهي تلك الأمور، فإذا نزلت بقلوبهم حسراتٌ أنفُسهم، اجتمعت عليهم خصلتان، حسرة الفوت، وسكرة الموت، تَفَطَّرَتْ لها قلوبهم، وتغيَّرت ألوانُهُم، وتردد شهيقهم، وحرَّكوا لمخرج أرواحهم أيديهم وأرجلهم، فعرقت لذلك جباهُهُم، ثم ازداد الموتُ فيهم، فحيلَ بين أحدهم ومنطقه، وإنه لبين ظهراي قوم، ففكَّر

بعقل بقي له : فيم فنى عُمره ، وفيم ذهب أيامه !! . اهـ .  
 فيا إخواني المسافرين على مطايا الأيام ، لماذا تأخرنا وقد سار  
 الركب ، وتقهقرنا وقد جدَّ الخطب ، يا مسافرين ، مَنْ عزم السفر تزوّد له ،  
 ويا راحلين من نوى الرحيل استعد له . ليت المحترز نجا فكيف المهمل ،  
 يا أقدام الصبر تحملي فقد بقي القليل ، تذكّري حلاوة الدّعة ، يهنّ عليك  
 تعب السرى ، ومشقة الطريق .

قل للمؤمل إن الموت في أثرك      وليس يخفى عليك الأمر من نظرك  
 فيمن مضى لك إن فكرت مُعْتَبَر      ومن يَمُت كل يوم فهو من نذرك  
 دار تسافر عنها من غد سَفْرًا      فلا تؤوب إذا سافرت من سفرك  
 تضحى غداً سمرًا للذاكرين كما      صارالذين مضوا بالأمس من سمرك  
 فيا مستأنساً بظُلٍّ ، وحريصاً على الهوى والموت عليه يحرص ، تفكّر  
 فيمن أصبح مسروراً فأمسى وهو منغص ، ولا يغرّك طول الأمل ، ولا  
 فسحة الأجل ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ٤٨ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي  
 ضَرْماً وَلَا نَفْعاً إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَجِرُّونَ سَاعَةً وَلَا  
 يَسْتَقْدِمُونَ ﴿ ٤٩ ﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنْتُمْ عَذَابُهُ بَيْنَنَا أَوْ نَهَاراً مَاذَا يَسْتَعِجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ ﴿ ٥٠ ﴾  
 أَنتُمْ إِذَا مَا وَقَعَ أَمْنٌ بِهِ ءَأَلْتَنَ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعِجِلُونَ ﴿ ٥١ ﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا  
 عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿ ٥٢ ﴾ وَيَسْتَيْسِرُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِي  
 وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿ ٥٣ ﴾ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ  
 لَافْتَدَتْ بِهِ ؕ وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَفُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا  
 يُظْلَمُونَ ﴿ ٥٤ ﴾ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ؕ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا  
 يَعْلَمُونَ ﴿ ٥٥ ﴾ هُوَ مُجِيءٌ وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿ ٥٦ ﴾ بِنَائِبِهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَ تَكْمٌ مَوْعِظَةٌ مِّنْ

رَبِّكُمْ وَشَفَاءَ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ  
فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ [يونس: ٥٨-٤٨].

وهذا أبو العاتية - رحمه الله - يُذَكِّرُ نفسه ويُذَكِّرنا بحقيقة الحياة  
ووجوب تزود الإنسان ليوم الرحيل وأن لا يغترَّ بطول الأمل:

المراء في تأخير مدته	كالشوب يخلق بعد جدته
وحياؤه نفسٌ يُعدُّ له	ووفاته استكمالٌ عدته
ومصيره من بعد أنستيه	بالناس ظلمة بيتٍ وخذته
من مات مال ذوو مودته	عنه وحالوا عن مودته
عجباً لمحتجبٍ يُضيع ما	يحتاج فيه ليوم رقدته
أزف الرحيلُ ونحنُ في لعب	لا نستعدُّ له بعدته
ولقلماً تُبقي الخطوبُ على	أشر الشبابِ وحرَّ وقده

\* \* \*

إني أرقُّتُ وذكركُ الموتِ أرقني	فقلتُ للدمع: أسعدني فأسعدني
إن لم أبلُكُ لنفسي مشعراً حزناً	قبل المماتِ ولم آسف لها فمن
يا من يموتُ ولم تُخزنه موتته	ومن يموتُ فما أولاه بالحزن
لمن أثمرُ أموالِي وأجمعها	لمن أروح لمن أغدو لمن لمن
لمن سَيرَفُعُ بي نعشي ويتركني	في حفرتي ترب الخدين والذقن
وقال الآخر:	

ولا خير في عيش امرئٍ لم يكن له	من الله في دار القرار نصيب
فإن تُعجب الدنيا أناساً فإنها	متاع قليلٌ والزوال قريب

وقال الآخر:

أين أهل الديار من قوم نوح      ثم عادٌ من بعدهم وثمرودُ  
 أين آباؤنا وأين بنوهم      أين آباؤهم وأين الجدودُ  
 سلخوا منهج المنايا فبادوا      وأرانا قد حان منا ورودُ  
 بينما هم على الأسرة والأند      حماط أفضت إلى التراب الخدود  
 ثم لم ينقض الحديث ولكن      بعد ذلك الوعيدُ والموعودُ

مرَّ الإسكندر بمدينة قد ملكها أملاكٌ سبعة وبادوا، فقال: هل بقي من  
 نَسْلِ الأملاكِ الذين ملكوا هذه المدينة أحد؟ قالوا: نعم، رجل يكونُ في  
 المقابر. فدعا به فقال: ما دعاك إلى لزوم المقابر؟ قال: أردت أن أعزَلَ  
 عظامَ الملوك عن عظام عبيدهم فوجدتُ عظامهم وعظامَ عبيدهم سواء.  
 قال له: فهل لك أن تتبني فأحبي بك شرف آباءك إن كانت لك همة؟  
 قال: إن همّتي عظيمةٌ إن كانت بُغيّتي عندك، قال: وما تبغي؟ قال: حياةٌ  
 لا موتَ فيها، وشبابٌ ليس معه هرم، وغنى لا فقر بعده، وسرور بغير  
 مكروه، قال: لا، قال: فامض لشأنك ودعني أطلب ذلك ممن هو عنده  
 ويملكه. قال الإسكندر: هذا أحكم من رأيت.

باحث بسري في الهوى أدمعي      ودلت الواشي على موضعي  
 يا قوم إن كنتم على مذهبي      في الوجد والحزن فنوحوا معي  
 يحق لي أبكي على زلتي      فلا تلوموني على أدمعي

\* \* \*

أخي المسافر، إذا صابرت مشقة الطريق انتهى بك السفر إلى جنات  
 ونهر، عند ملك مقتدر.

كان آدم عليه السلام يبكي بعد هبوطه من الجنة بكاءً مريراً فكان جبريل يأتيه فيقول لِمَ هذا البكاء؟ ولسان حاله يجيب:

يا عاذل المشتاق دعه فإنه يلوي على الزفرات غيرَ مشاكا  
لو كان قلبك قلبه ما لُمته حاشاك مما عنده حاشاكا  
يا جبريل ما تغير عليك أمر، وأنا نقلت من برد عيش إلى حر ما سكنت  
قط مسكني، ولا توطنت موطني، فاقراً على ربي سلامي، وقل له لا  
تنس أيامي.

أخي المسافر، يا من يرحل في كل لحظة عن الدنيا مرحلة، وكتابه قد حوى حتى قدر خردلة، ماذا أعددت لسفرك الطويل، وما هو زادك للرحيل.

وتأمل اللبث والأرواح تختلسُ لابد ما ينتهي أمر وينعكسُ كانوا إذا الناس قاموا هيبة جلسوا تخشى ودونهم الحجاب والحرس موتى وماشي الورى من فوقهم يطس باتوا وهم جثث في الرمس قد حبسوا ومات ذكرهم بين الورى ونسوا يد البلى بهمُ والدود يفترس في رونق الحسن منها كيف تنظمس وليس تبقى لهذا وهي تنتهس ما شأنها شأنها بالآفة الخرس	تبنى وتجمع والآثار تندرس ذا اللب فكرفما في الخلد من طمع أين الملوك وأبناء الملوك ومن ومن سيوفهم في كل معترك أضحوا بمهلكة في وسط معركة وعمهم حدث أو ضمهم جدث كأنهم قط ما كانوا ولا خلقوا والله لو نظرت عينك ما صنعتُ من أوجه ناضرات حار ناظرها وأعظم باليات ما بها رمتق وألسنُ ناطقات زانها أدب
--	--

عروا عن الوشي لما ألبسوا حلاً من الرغام على أجسادهم وكسوا  
 حَتَّام يا ذا النهى لا ترعوي سفهاً ودمع عينك لا يهمي وينبجس  
 قال ابن الجوزي رحمه الله: «إخواني خلقنا نتقلب في ستة أسفار إلى أن  
 يستقر بنا المنزل: السفر الأول سفر السلالة من الطين، والثاني سفر  
 النطفة من الصلب، والثالث سفر من البطون إلى الدنيا، والرابع من الدنيا  
 إلى القبور، والخامس من القبور إلى العرض، والسادس إلى منزل الإقامة  
 إما إلى الجنة أو إلى النار. وقد قطعنا نصف الطريق وما بعدُ أصعب».

يا ويح نفسي من تتابع حوبتي لو قد دعاني للحساب حسيبي  
 فاستيقظي يا نفس ويحك واحذري حذراً يهيج عبرتي ونحيبي  
 واستدركي ما فات منك وسابقي سطوات موت للنفوس طلب  
 هذا رقيب ليس عني غافلاً يحصي علي ولو غفلت ذنوبي  
 أوليس من جهل بأنني نائم نوم السفينه وما ينام رقيبي

\* \* \*

## خطبة مسافر إلى الآخرة

عن أبي سليم الهذلي قال: خطب عمر بن عبدالعزيز فقال: أما بعد، فإن الله عز وجل لم يخلقكم عبثاً، ولم يدع شيئاً من أمركم سُدىً، وإن لكم معاداً فخاب وخسر من خرج من رحمة الله وحُرم الجنة التي عرضها السموات والأرض، واشترى قليلاً بكثير وفانياً بباق وخوفاً بآمن، ألا ترون أنكم في أسلاب الهالكين وسيخلفها بعدكم الباقون؟ كذلك حتى تُردّ إلى خير الوارثين، في كل يوم وليلة تشيعون غادياً ورائحاً إلى الله عز وجل قد قضى نحبه وانقضى أجله حتى تغيبوه في صدع من الأرض، في بطن صدع، ثم تدعونه غير ممهد ولا موسد قد خلع الأسباب وفارق الأحباب وسكن التراب وواجه الحساب مرتهاً بعمله فقيراً إلى ما قدّم، غنياً عما ترك، فاتقوا الله قبل نزول الموت، وإيم الله إني لأقول لكم هذه المقالة وما أعلم عند أحد منكم من الذنوب ما أعلم عندي، وما يبلغني عن أحد منكم ما يسعه ما عندي إلاّ وددتُ أنه يمكنني تغييره حتى يستوي عيشنا وعيشه، وإيم الله لو أردت غير ذلك من الغضارة والعيش لكان اللسان مني به ذلّولاً عالماً بأسبابه، ولكن سبق من الله عز وجل في كتاب ناطق وسنة عادلة دل فيها على طاعته ونهى فيها عن معصيته.

ثم وضع طرف ردائه على وجهه فبكى وشهق وبكى الناس، وكانت آخر خطبة خطبها.